

السنة الثالثة والثلاثون بعد المئتين

[وفيها غضب المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات، وعذبه حتى مات، وسنذكر قصته في موضعها.

[و] فيها كانت زلزلة عظيمة، [ذكر الحافظ ابن عساكر في كتاب «الزلازل» وقال: زلزلت دمشق يوم الخميس ضحى،^(١) لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع [الآخر]^(٢) سنة ثلاث وثلاثين ومئتين في خلافة المتوكل، ذكرها أحمد بن أبي طاهر قال:] جاءت الناس وهم غارون، فقطعت ربعاً من الجامع بدمشق، وتزايلت الحجارَةُ العظامُ عن تركيبها، وسقطت شرفُ الجامع، وانصدع طاقُ القبة ممَّا يلي المحراب، ووقعت منارة من المسجد، وسقطت القناطرُ والمنازلُ، فهلك خلقٌ عظيمٌ، وامتدت في الغوطة، فأنت على دارياً والمزة وبيت لُها وغيرها، وخرج الناسُ إلى المصلَّى، واشتغلوا بالبكاء والدعاء والتضرُّع والاستغفار إلى قريب نصف النهار، فسكنت الدنيا.

[قال ابن عساكر: وذكر] القاضي^(٣) أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة [الرُهاوي^(٤) هذه الزلزلة] في «تاريخه» [وقال:] إنَّ بعضَ أهل دير مُرَّان رأى دمشق ترتفع وتنخفض مراراً، فماتت تحت الهدم معظم أهلها، [وقال ابن كامل:] وهرب النساء والصبيان ومن بقي من الرجال [والنساء وأهل الأسواق] إلى مصلَّى العيد؛ يبكون ويتضرعون إلى وقت المغرب [والعشاء]، فسكنت الدنيا، فعادوا يُخرجون موتاهم من تحت الهدم، ويدفنونهم، وانكفأت قريةً بالغوطة فلم ينبج من أهلها إلا رجلٌ واحدٌ. [قال:] وأصاب أهل البلقاء [مثل ما أصاب أهل دمشق]^(٥)، وكانت الحيطانُ تنفصلُ حجارَتُها [عن البعض]، وعرضُ الحائط سبعة أذرع، ثم امتدت إلى أنطاكية،

(١) ما بين حاصرتين من (ب). مكانها في (خ) و(ف): بدمشق ضحى يوم الخميس.

(٢) في (خ) و(ب): الأول. والمثبت من (ب) والمنظم ١٨٩/١١. وما بين حاصرتين من (ب).

(٣) ما بين حاصرتين من (ب). وفي (خ) و(ف): وقال القاضي...

(٤) كذا في (ب). وما بين حاصرتين منها... ولم أقف على من نسبه: الرهاوي.

(٥) ما بين حاصرتين من (ب). مكانها في (خ) و(ف): كذلك.

فهدمتها وخربتها، وامتدت إلى بلاد الجزيرة وسواحلها، فيقال: [إنها هلكت من أهلها خمسون ألفاً، ومن أهل أنطاكية عشرون ألفاً].^(١)

[فصل وفيها مرض ابن أبي دؤاد]، في جمادى الآخرة، [أصابه]^(٢) فالج عظيم ألقاه كالحجر [الملقى].

وفي رمضان ولَّى المتوكلُ ابنه المنتصر الحرمين والطائف يومَ الخميس لإحدى عشرة ليلةً خلَّت منه.

وفي رمضان عزلَ المتوكلُ الفضلَ بن مروان عن ديوان الخراج، وولَّاه ليحيى بن خاقان.

[وفي رمضان]^(٣) غضبَ المتوكلُ على عمر بن الفرج الرَّحجِّي واستصفاه^(٤).

قال الطبريُّ: دُفِعَ إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، فحبس في منزله، واستولى على ضياعه، وصار نجاحُ بن سلَّمة^(٥) إلى منزله، فلم يجد فيه إلا خمسة عشر ألف درهم، وقبض مسرورٌ جواريه وفرسه، وقُيِّدَ عمر بثلاثين رطلاً من الحديد، وأحضر مولاه نصر من بغداد، فحمل ثلاثين ألف دينار، وكان لعمر بالأهوازِ أربعون ألف دينار، ولأخيه محمد بن الفرج مئة وخمسون ألف دينار، وحُمِلَ من داره من المتاع ستة عشر بعبيراً، ومن الجواهر ما قيمته أربعون ألف دينار، [وألبس]^(٦) جبةً صوفٍ وقُيِّدَ، فأقام سبعة أيام [وأخذ عياله ففتشوا، وكنز مئة جارية]^(٧)، ثم صُوِّلِحَ على أخذ عشرة

(١) انظر المنتظم ١/١٨٩-١٩٠.

(٢) في (خ) و(ف): أصاب ابن أبي دؤاد. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٣) في (خ) و(ف): وفيه. والمثبت بين حاصرتين من (ب).

(٤) كذا في (خ) و(ف) و(ب). وفي النجوم الزاهرة ٢/٢٧١: وصادره.

وبعدها في (ب): والله أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

السنة الرابعة والثلاثون بعد المتين.

(٥) تحرفت في (خ) و(ف) إلى: مسلمة. والمثبت من المصادر.

(٦) في (خ) و(ف): بياض، واستدرسته من نسخة في هامش تاريخ الطبري ٩/١٦١، ومن المنتظم ١/١٩١.

وفي تاريخ الطبري: وألبس فرجةً صوف...

(٧) في (خ) و(ف) بياض، استدرسته من تاريخ الطبري.

آلاف ألف درهم، على أن يُردَّ ضياعه عليه بالأهواز، وأطلق، فقال علي بن الجهم:
[من البسيط]

أبلغ نَجَاحاً فتى الكَتَّابِ مَأْلُكَةً تمضي بها الريحُ إصداراً وإيراداً
لا يَخْرُجُ المالَ عفواً من يَدَيِ عمر ويغمدُ السيفُ في فوديه إغماًداً
الرُّحَجِيُّونَ لا يُوفونَ ما وعدوا والرُّحَجِيَّاتُ لا يُخْلِفنَ ميعاداً^(١)
وقال علي بن الجهم أيضاً: [من البسيط]

جمعتَ أمرينِ ضاعَ الحزْمُ بينهما تية الملوِكِ وأفعالِ الممالِكِ
أردتَ شكراً بلا برٍّ ومَرزُونةٍ لقد سَلَكْتَ طريقاً غيرَ مسلوِكِ^(٢)
وقال القاضي التنوخي: كان محمد بن منصور يتقلد القضاء بكور الأهواز، وعمر
الرُّحَجِيُّ على الأموال والولايات، وكانا يتنافسان^(٣) في المرتبة، فلا يركبُ القاضي
إلى الرُّحَجِيِّ حتى يأتيه، ويتشاحنان^(٤) على التعظيم، فولدت بينهما عداوة، وكان
الرُّحَجِيُّ يكتبُ إلى المتوكل في القاضي، فلا يلتفتُ إليه، ويبلغُ ذلك القاضي فلا
يحتفلُ به، ويظهر الزيادة في التعاطم عليه.

فلماً] كان في بعض الأوقات وردَ كتابُ المتوكل [على الرُّحَجِيِّ يأمره]^(٥) بأمرٍ في
معنى الخراج، وأن يجتمع بمحمد بن منصور القاضي، ولا ينفرد به دونه.
وقدم بالكتاب خادماً من خدم السلطان، فأنفذ الرُّحَجِيُّ إلى القاضي فأخبره الخبر،
وقال: نصير إلى ديوان الخراج لنجتمع فيه على امتثال الأمر، فقال القاضي: لا،
ولكن تحضر أنت إلى الجامع، فنجتمع فيه، فأبى الرُّحَجِيُّ، وترددَ الكلام بينهما، إلى
أن قال الرُّحَجِيُّ للخادم: ارجع إلى أمير المؤمنين وأخبره بأن قاضيه يريدُ إيقاف الأمر.
فبلغه الخبر، فركب ومعه الشهود إلى الديوان والرُّحَجِيُّ قاعدٌ في الدست، وكتابه

(١) ديوان علي بن الجهم ص ١٢٤ (تكملة).

(٢) تاريخ الطبري ٩/ ١٦١-١٦٢، والأبيات في ديوان علي بن الجهم ص ١٦١ (تكملة).

(٣) في نشوار المحاضرة ٢/ ١٢، والمنتظم ١١/ ١٩٢: يتوازيان.

(٤) كذا في (خ) و(ف)، وفي نشوار المحاضرة والمنتظم: ويتشاحان.

(٥) في (خ) بياض. واستدرسته من نشوار المحاضرة.

بين يديه، فقام الكلُّ إلا الرَّحَجِيَّ، فعدل القاضي إلى آخر البساط، وطواه وجلس على بارية^(١)، وحفَّتْ به شهوده، وجاء الخادمُ فجلسَ عند القاضي وأراه الكتاب، فلم يزل^(٢) الرَّحَجِيَّ يخاطبُ القاضي، وبينهما مسافة حتى بلغا الأمر^(٣)، فقال الرَّحَجِيَّ للقاضي: يا أبا جعفر، ما هذه الجبريَّة، ما تزال تتولَّع بي وتُقَدِّرُ أنَّك عند الخليفة مثلي، أو أنَّ محلَّك يوازي محلي، والخليفة لا يضربُ على يدي في أمواله التي بها قوام دولته، ولقد أخذتُ من أمواله ألفَ ألف دينار، وألفَ ألف دينار، وألفَ ألف دينار^(٤)، فما سألتني عنها، وإنَّما أنتَ إليك أن تُحَلِّفَ مُنْكَرًا على حقِّ، وأن تفرضَ لامرأةٍ على زوجها، أو تحبسَ من أداء حقِّ. وأبو جعفر يعدُّ ما ذكره الرَّحَجِيَّ بيده، ويكشفُها ليراها الناس، فلمَّا سكتَ الرَّحَجِيَّ قال القاضي لبعض الوكلاء: وقد سمعت ما جرى، وقد وكَّلتُك لأمير المؤمنين على هذا في مطالبته بما أقرَّ على نفسه. فقال الوكيل: إن رأى القاضي أن يحكم بهذا المال ويكتب به سجلاً. قال: نعم، عليَّ بدواة، وكتبَ السجلاً، وأثبتَه بشهادة الشهود، وحكم به عليه.

ونَهَضَ القاضي والكتابُ بيده، والرَّحَجِيَّ يهزأُ به، والقاضي يقول: سوف ترى.

وكتب صاحبُ الخبر إلى المتوكَّل بما جرى، فأحضر وزيره وقال: أنا منذُ زمان أقول لك حاسب هذا الخائن الرَّحَجِيَّ، وأنت تدافع، حتى حفظ الله علينا أموالنا بقاضينا محمد بن منصور، ورَمَى إليه بكتابِ صاحب الخبر، ثمَّ قال له: اكتب الساعةً بالقبضِ على الرَّحَجِيَّ.

فخرج الوزير وهو قلقٌ، لعنايته بالرَّحَجِيَّ، وقال لكاتبه: اكتب إليه، وقل له: يا مشؤوم، ما الذي دعاك إلى معاداة القضاة؟ وأنت مقتول إن لم تتلاف أمرك مع القاضي.

(١) الباريُّ والبارياء: الحصير المنسوج. لسان العرب (برى). وقال محقق نشوار المحاضرة: البارية: الحصير

المنسوج من القصب، ولم يزل هذا اسمها في بغداد.

(٢) ليست في (ف). وفي (خ): يكن. والمثبت من المصادر.

(٣) في نشوار المحاضرة والمنتظم: حتى فرغا من الأمر.

(٤) بعدها في نشوار المحاضرة ١٤/٢ : وألف ألف دينار. أي مرة رابعة.

فجاء الرَّحَجِيُّ إلى القاضي، فحجبه، فرجع خجلاً، فاحتال حتى دخل بالليل مع بعض خواصّ القاضي عليه، فصاح عليه القاضي: اخرج من داري، فأكبَّ على رأس القاضي فقبَّله وبكى، فقام إليه القاضي فاعتنقه، وبكى وقال: عزيزٌ عليّ، ولا حيلة لي، فقد نفذ الحكم، فنهض الرَّحَجِيُّ، فنفذ القاضي [بمن قبض عليه]^(١)، فكتب عليه، ونصبَ وكيلًا، فباع أمواله وأملاكه، وحملَ ثمنها إلى بيت المال^(٢).

وفيهما قَدِمَ يحيى بنُ هَرَثْمَةَ - وكان والي طريق مكة - بعليّ بن محمد بن عليّ الرضا من المدينة، وكان قد بلغَ المتوكلَ عنه شيء.

وفيهما وثبَ ميخائيلُ بن توفيل على أمّه بدور^(٣)، فأدخلها الدير، وشمسها، وقتل رتبلاً اتَّهمه بها، واسمه الغيث^(٤)، وكانت مملكتها ستَّ سنين.

وحجَّ بالناس محمدُ بن دواد.

وفيهما توفِّي

بُهْلُولُ بنِ صَالِحٍ^(٥)

أبو الحسن التَّجِيبِيُّ، قدم بغداد، وحَدَّثَ بها.

ومن رواياته عن ابن عباس رسالة^(٦) زياد بن أنعم، [عن أبيه]^(٧) قال: يا معاشر قريش، أخبروني عن هذا الكتاب العربي، هل كنتم تكتبونه قبل أن يُبعثَ محمدٌ ﷺ؟ قال ابنُ عباس: نعم، قلتُ: وعمَّن أخذتموه؟ قال: من حربِ بن أمية، قلت: ومن أين أخذه ابنُ أمية؟ قال: من عبد الله بن جُدعان، قلت: ومن أين أخذه ابنُ جُدعان؟ قال: من أهل الأنبار، قلت: ومن أين أخذه أهلُ الأنبار؟ قال: من طارئٍ طرأ عليهم

(١) ما بين حاصرتين من المنتظم ١٩٤/١١ .

(٢) نشوار المحاضرة ١٧-١٢/٢ .

(٣) في تاريخ الطبري ١٦٣/٩ : تدورة، وفي الكامل ٤٠/٧ : تدورة.

(٤) كذا في (خ) و(ف). وفي تاريخ الطبري ١٦٣/٩ : اللُّغَيْطُ، وفي الكامل ٤٠/٧ : اللقظ .

(٥) رجح ابن ماکولا أن اسمه: بهلول بن عمر بن صالح. انظر بيان الوهم في اسمه في الإكمال ٥٣/٦-٥٤ .

(٦) كذا في (خ) و(ف) والنجوم الزاهرة ٢٧١/٢ .

(٧) ما بين حاصرتين زيادة من المنتظم ١٩٦/١١ .

من اليمن من كنده، قلت: وممن أخذَه ذلك الطارئ؟ قال: من خلجان كاتب الوحي
لهود عليه السلام وهو القائل: [من الطويل]

أفي كلِّ عام سنَّةٌ تُحدِثونها ورأيي على غير الطريقِ يغيِّرُ
وللموتِ خيرٌ من حياة يسبُّنا بهم جرهم فيمن يسبُّ وحميرُ

محمد بن سماعة

ابن عبيد الله بن هلال بن وكيع بن بشر، أبو عبد الله القاضي الحنفي التميمي. ولد
سنة ثلاثين ومئة.

وكان إماماً فاضلاً صاحبَ اختياراتٍ في المذهب وروايات، وله المصنَّفاتُ
الحسان، وهو من الحفاظ الثقات. وولي القضاء ببغداد، فلم يزل إلى أن ضعفت نظره
فاستعفى.

وكان يصلي كلَّ يومٍ متي ركعة، وقال: مكثتُ أربعين سنة لم تُفتني التكبيرة الأولى
في جماعة إلا يوماً واحداً، ماتت فيه أمي، ففاتتني صلاةً واحدة، فصلَّيتُ خمساً
وعشرين صلاةً، ولكن كيف لي بتأمين الملائكة^(١)؟!.

وكانت وفاته في شعبان عن مئةٍ وثلاث سنين، وهو صحيح العقل والسمع والبصر،
لم يتغيَّر عليه حال^(٢).

حدَّث عن الليث بن سعد وغيره، وروى عنه الوشاء^(٣) وغيره، واتفقوا على صدقه
وديانتته.

محمد بن عبد الملك

ابن أبان بن أبي حمزة الزيَّات، أبو يعقوب^(٤)، وقيل: أبو جعفر، الوزير، من

(١) في تاريخ بغداد ٣/٣٠١، والمنتظم ١١/١٩٨، وتهذيب الكمال ٢٥/٣١٩ وغيرها أنه غلبته عينه فأتاه آتٍ
فقال له: يا محمد قد صليت خمساً وعشرين صلاة، ولكن كيف لك بتأمين الملائكة؟!.

(٢) انظر الجواهر المضية ٣/١٦٩.

(٣) هو الحسن بن محمد بن عنبر الوشاء.

(٤) لم أقف على من كناه بأبي يعقوب سوى ابن الجوزي في المنتظم ١١/١٩٨، وفي هامشه: في نسخة: أبو جعفر.

جَبَل^(١)، قرية تحت بغداد، وكان أبوه تاجراً من تجّار الكرخ المياسير، ويحثّه على التجارة، فيأبى إلا الكتابة، وطلبها فبرع فيها، ثم شخص إلى الحسن بن سهل، فمدحه فأعطاه عشرة آلاف درهم^(٢)، ثم اتصل بالمعتصم فرفع قدره ووسمه بالوزارة، ثم استوزره الواثق^(٣).

وكان أديباً فاضلاً شاعراً، عالماً بالنحو واللغة، جواداً ممدحاً، وله أشعارٌ حسان،

ومن بارع قول البحترى يصفُ بلاغته: [من الخفيف]

بعض هذا العتاب والتفنيدي
في نظام من البلاغة ما شد
ومعان لو فصلتْها القوافي
حُزْنَ مستعمل الكلام اختياراً
وركبن اللفظ القريب فأدرُك
وترى الخلق مجمعين [على فض
عَرَفَ العالمونَ فضلك] بالعد
صارم العزم حاضر^(٧) [الحزم ساري^(٨)] ال
دقّ فهماً وجلّ علماً فأرضى الد
لا يميلُ الهوى به حيثُ يُمضي ال

ليس ذمّ الوفاء بالمحمود
لكّ امرؤ أنّه نظامٌ فريد
لهجّت^(٤) شعرَ جرولٍ ولبيد
وتجنّبَ ظلمة التعقيد
ن به غاية المرام البعيد
لك^(٥) [من بين سيّد ومسود
م]^(٦) وقال الجهّال بالتقليد
فكرٍ ثبت المقام [صلب^(٩)] العود
ه فينا والواثق بن الرّشيد
أمر بين المقلبيّ والمودود

(١) انظر معجم البلدان ٢/٤٥٥، والأغاني ٢٣/٤٦، ووفيات الأعيان ٥/٩٤، لكن وقع في النجوم الزاهرة

٢٧١/٢: جيل، ثم قال: قلت: ومنها كان أصل الشيخ عبد القادر الكيلاني!

(٢) الأغاني ٢٣/٤٦، والمنظّم ١١/١٩٨.

(٣) تاريخ بغداد ٣/٥٩٣.

(٤) في ديوان البحترى، وتاريخ بغداد ٣/٥٩٤، وتاريخ دمشق ٦٣/١٤٧ (طبعة مجمع اللغة): هجّت. بدل:

لهجت.

(٥) في (خ) و(ف) بياض، استدرسته بين حاصرتين من المصادر.

(٦) في (خ) و(ف) بياض، استدرسته بين حاصرتين من المصادر.

(٧) في (خ) و(ف): ظاهراً. والمثبت من المصادر.

(٨) في (خ) و(ف) بياض، استدرسته بين حاصرتين من المصادر.

(٩) ما بين حاصرتين من المصادر.

سَوْدَدٌ يُضْطَفَى وَنَيْلٌ يُرَجَّى وثناءً يحيى^(١) ومالٌ يُودى
 قد تلقيت كل يوم جديد
 وإذا استطرفت سيادة قوم
 نلت^(٢) بالسودد الطريف التليد^(٣)
 وكان ابن الزيات يتعشق جارية من جواري القيان، فبيعت من رجل خراساني،
 فسافر بها، فكاد عقل ابن الزيات يذهب، وقال: [من البسيط]

يا طولَ ساعاتِ ليلِ العاشقِ الدَّنيفِ وطولَ رَغِيبتِهِ لِلنَّجْمِ فِي السَّدَفِ
 ماذا تُؤاري ثيابي من أخي حُرِّقِ كأنَّما الجِسمُ منه دِقَّةُ الألفِ
 ما قال يا أسفا يعقوبُ من كمدِ إلا لَطولِ الذي لاقى من الأسفِ^(٤)

ذكر وفاته:

اتَّفَقَ [لغضب]^(٥) المتوكل عليه أسبابُ أقواها^(٦) أنَّ الواثقَ استوزَّره، وغضب
 الواثق على أخيه المتوكل لشيء بلغه عنه، ووكل به عمر بن فرج الرُّخَّجِي ومحمد بن
 العلاء، فكانا يحفظانه، ويكتبان بأخباره في كل وقت، فصار جعفر إلى ابن الزيات
 يسأله أن يكلم الواثق ليرضى عنه، فلمَّا دخلَ عليه مكث قائماً بين يديه ملياً لا يكلمه،
 ثم أمره بالعود، وكان ينظر في الكتب، فلمَّا فرغ التفت إليه وقال: ما الذي جاء بك؟
 كالمتهدد، فقال: لتسأل أمير المؤمنين أن يرضى عني، فقال لمن حوله: انظروا إلى
 هذا، يُغضبُ أخاه، ويسألني أن أسترضيه له، اذهب، فإنك إذا أصلحتَ حالك رضي
 عنك، فقام المتوكلُ كثيراً حزينا لما لقي منه من قبيح اللقاء والخيبة.

فأتى إلى عمر بن فرج ليسأله أن يختم له صكّه ليقبض أرزاقه، فلقيه بالخيبة، فأخذ
 الصكَّ فرمى به، وكان أبو الوزير أحمد بن خالد حاضراً، فقام جعفر لينصرف وقام أبو
 الوزير، فقال له جعفر: يا أبا الوزير، أما ترى صنع عمر؟! فقال له: جعلت فداءك، أنا

(١) في تاريخ دمشق ٦٣/١٤٨: يحنى.

(٢) في المصادر: بنت.

(٣) انظر القصيدة في ديوان البحري ١/٦٣٢-٦٣٨، وتاريخ بغداد ٣/٥٩٤، والمنتظم ١١/١٩٨-١٩٩.

(٤) تاريخ بغداد ٣/٥٩٤-٥٩٥، والمنتظم ١١/١٩٩، وتاريخ دمشق ٦٣/١٥١، ووفيات الأعيان ٥/٩٦.

(٥) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق، ومكانها في (خ) بياض.

(٦) في (خ): أحدها. والمثبت من (ف).

زِمَامٌ عَلَيْكَ، وَلَيْسَ يَخْتَمُ عَلَيَّ أَرْزَاقِي إِلَّا بِالطَّلَبِ، فَابْعَثْ إِلَيَّ بُوَكَيْلَكَ، فَبَعَثَ جَعْفَرٌ وَكَيْلَهُ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَقَالَ: أَنْفَقَ هَذِهِ إِلَى أَنْ يَهَيِّئَ اللَّهُ أَمْرَكَ، فَأَخَذَهَا، ثُمَّ بَعَثَ بَعْدَ ذَلِكَ جَعْفَرَ إِلَى أَبِي الْوَزِيرِ يَسْأَلُهُ إِعَانَتَهُ فَبَعَثَ إِلَيْهِ بَعْشَرَ آلَافٍ دِرْهَمٍ.

وَبَلَغَ الْوَائِقُ فَنَكَبَ أَبُو الْوَزِيرِ، وَاسْتَأْصَلَهُ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُ.

وَكَانَ جَعْفَرٌ لَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِ عَمْرِ الرَّحْجِيِّ صَارَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَوَادٍ، قَامَ وَاسْتَقْبَلَهُ وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: حَاجْتُكَ، جَعَلْتُ فِدَاكَ؟ فَقَالَ: اسْتَرْضِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِي، فَقَالَ: أَفَعَلُ حَبًّا وَكِرَامَةً.

وَأَمَّا ابْنُ الزِّيَّاتِ فَإِنَّهُ كَتَبَ إِلَى الْوَائِقِ يَقُولُ: أَتَانِي جَعْفَرُ بْنُ الْمُعْتَصِمِ يَسْأَلُنِي أَنْ أَكَلِّمَ فِيهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ فِي زِيِّ الْمُخْنَثِينَ، لَهُ شَعْرٌ عَلَى قَفَاهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَائِقُ: ابْعَثْ إِلَيْهِ مَنْ يَحْضُرُهُ، وَجَزَّ شَعْرَهُ، وَاضْرِبْ بِهِ وَجْهَهُ، فَدَعَا بِهِ، وَأَمَرَ الْحَجَّامَ، فَجَزَّ شَعْرَهُ، وَضْرَبَ بِهِ قَفَاهُ وَوَجْهَهُ^(١).

قَالَ الْمُتَوَكَّلُ: وَكُنْتُ قَدْ لَبَسْتُ سُودًا جَدِيدًا لَمَّا جِئْتُ إِلَيْهِ طَمَعًا فِي الرِّضَا عَنِّي، فَمَا دَخَلَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِثْلُ مَا دَخَلَ حِينَ أَخَذَ شَعْرِي عَلَى السُّودِ الْجَدِيدِ.

وَأَمَّا ابْنُ أَبِي دَوَادٍ فَكَلَّمَ الْوَائِقُ فِي جَعْفَرٍ، فَلَمْ يَرْضَ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَصِمُ عِنْدِي مَعْرُوفٌ، وَجَعْفَرُ ابْنُهُ، فَبِحَقِّ الْمُعْتَصِمِ إِلَّا رَضِيَتْ عَنْهُ، فَارْضِي عَنْهُ وَكَسَاهُ، فَحَظِيَّ عِنْدَ الْمُتَوَكَّلِ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ، وَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُ.

وَلَمَّا اجْتَمَعُوا لِيُولُوا خَلِيفَةً أَشَارَ ابْنُ الزِّيَّاتِ بِمُحَمَّدِ بْنِ الْوَائِقِ، عَلَى مَا ذَكَرْنَا، وَتَيَقَّنَ الْمُتَوَكَّلُ أَنَّهُ أَرَادَ صَرْفَ الْأَمْرِ عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِهَلَاكِهِ، فَاسْتَوَزَرَهُ، وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُ شَيْئًا حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لَتَسَعَ^(٢) خَلُونَ مِنْ صَفَرٍ أَمْرَ إِيْتَاخٍ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ إِيْتَاخَ رَسُولًا، فَظَنَّ أَنَّ الْمُتَوَكَّلَ طَلَبَهُ عَلَى عَادَتِهِ، فَرَكِبَ، فَلَمَّا حَازَى دَارَ إِيْتَاخٍ أَنْزَلَ بِهَا، ثُمَّ أُدْخِلَ حَجْرَةً، وَأَخَذَ سَيْفَهُ وَمِنْطَقَتَهُ وَقَلَنْسُوتَهُ وَدَرَّاعَتَهُ، فَدَفَعَتْ إِلَى

(١) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ١٥٧/٩ : فَأَخَذَهُ شَعْرَهُ وَشَعْرَ قَفَاهُ وَضْرَبَ بِهِ وَجْهَهُ.

(٢) فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ١٥٨/٩، ١٦١ : لَسِبِعَ.

غلماناه وانصرفوا، ثم بعث إيتاخ إلى داره فنهبها، وأخذ جميع ما فيها من المتاع والأثاث والدواب والجواري والغلمان، وبعث إلى داره ببغداد، فأخذ ما فيها من مالٍ وخدم، وقبض ضياعه وضياع أهل بيته وقيدته، فامتنع من الطعام، وكان كثير البكاء في حبسه، ثم سُهر ومنع من النوم، وكان يُنَحَسُ بمسلةً لئلا ينام، فأقام كذلك أياماً، ثم أمر المتوكل بتثور من خشب، فيه مسامير من حديد، فأدخل فيه، وابن الزيات أول من عمل التثور وعذب به ابن أسباط المصري، حتى استخرج منه جميع ما كان عنده، ثم عذب بالتثور أياماً، وكان في وسط التثور خشبة يجلس عليها المعذب ليستريح، فمُنِعُوهُ من القعود عليها.

واختلفوا في كيفية قتله، فقيل: إنه أُخْرِجَ من التثور فُبَطِحَ وَضُرِبَ على بطنه خمسين مِقْرَعَةً، ثم قُلب فضرِبَ على أليته مثلها، فمات وهو يضرب، واتفوا لحيته، وعذبوه أشد العذاب، وما أكلَ في حبسه سوى رغيفٍ أو رغيفين.

وكان يقول لنفسه: ويحك يا محمد، لم تقنعك الدوابُّ الفارهة، والدارُ النظيفة، والعافية، حتى طلبت الوزارة، فذق وبالاً أمرِك وما فعلت بنفسك، ثم أخذ بعد ذلك بالتوبة والاستغفار والذكر.

والأصحُّ أنه مات في التثور، ثم طُرِحَ على بابٍ من خشب، وسُلِّمَ إلى أهله فغسَلُوهُ وحفروا له فلم يعمِّقوا، فذكروا أنَّ الكلاب نبشَتْهُ وأكلته.

وقيل: إنَّ الذي تولى دفنه ابنه عبيدُ الله وسليمان، وكانا محبوسين فأُخْرِجَا فتولَّياه. وكان قيمة ما قبضَ له تسعين ألف دينار^(١).

وكان حبسُ المتوكلٍ إيَّاه في تاسع^(٢) صفر، ومات في الحبس لإحدى عشرة بقية من ربيع الأول.

(١) انظر خبر مقتل ابن الزيات في تاريخ الطبري ٩/١٥٦-١٦١، والمنتظم ١١/١٩٩-٢٠٢، والكامل ٧/

٣٦-٣٨.

(٢) في تاريخ الطبري ٩/١٥٨، ١٦١، والكامل ٧/٣٨: في سابع صفر.

وكان يقول: الرحمة خورٌ في الطبيعة، وما رحمتُ أحداً قط، فلما وُضِعَ في التُّور كان يقول: ارحموني، فيقال له: الرحمة خورٌ في الطبيعة، أنسيت قولك: ما رحمت أحداً قط^(١).

وقال أحمد بن الأحول^(٢): لَمَّا قُبِضَ عَلَى ابْنِ الزِّيَّاتِ تَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ فِي حَدِيدٍ ثَقِيلٍ، فَقُلْتُ لَهُ: يَعِزُّ عَلَيَّ مَا أَرَى، فَقَالَ: [من الرمل]

سَلْ دِيَارَ الْحَيِّ مَا غَيْرَهَا وَعَفَاها وَمَحَا مَنْظَرَهَا
وَهِيَ الدُّنْيَا إِذَا مَا انْقَلَبْتُ صَيَّرْتُ مَعْرُوفَهَا مَنْكَرَهَا
إِنَّمَا الدُّنْيَا كظَلٍّ زَائِلٍ نَحْمَدُ اللَّهَ كَذَا قَدَّرَهَا^(٣)

ولما أُلْقِيَ فِي التُّورِ كَتَبَ بِفَحْمَةٍ: [من مجزوء الرمل]

مَنْ لَهُ عَهْدٌ بِنَوْمٍ يَرْشُدُ الصَّيْبَ إِلَيْهِ
رَحِمَ اللَّهُ رَحِيمًا دَلَّ عَيْنِي عَلَيْهِ
سَهَرْتُ عَيْنِي وَنَامْتُ عَيْنٌ مِنْ هُنْتُ عَلَيْهِ^(٤)

وحكى المسعوديُّ أَنَّهُ طَلَبَ دَوَاةَ وَورْقَةَ بِيضَاءَ، فَاسْتَأْذَنَ الْمُؤَكَّلُونَ فِيهِ الْمُتَوَكَّلَ،

فَقَالَ: اعْطُوهُ، فَأَتَوْهُ بِهِمَا فَكَتَبَ: [من البسيط]

هُوَ السَّبِيلُ فَمَنْ يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ كَأَنَّهُ مَا تُرِيكَ الْعَيْنُ فِي النَّوْمِ
لَا تَجْزَعَنَّ رَوِيْدًا إِنَّهَا دَوْلٌ دُنْيَا تَنْقُلُ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ

وَبَعَثَ بِهَا إِلَى الْمُتَوَكَّلِ، فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ، فَوَجَدُوهُ قَدْ مَاتَ^(٥).

وابنُ الزِّيَّاتِ هُوَ الَّذِي كَتَبَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ وَقَدْ دَامَ الْمَطَرُ أَيَّامًا: [من

الخفيف]

(١) انظر المنتظم ٢٠١/١١، ووفيات الأعيان ١٠٠/٥، والوافي بالوفيات ٣٢-٣٣.

(٢) كذا في (خ) و(ف). وفي المصادر: أحمد الأحول.

(٣) تاريخ بغداد ٥٩٥/٣، وتاريخ دمشق ١٥٤/٦٣، ووفيات الأعيان ١٠١/٥.

(٤) تاريخ بغداد ٥٩٥-٥٩٦/٣، وتاريخ دمشق ١٥٤/٦٣، ووفيات الأعيان ١٠٠/٥-١٠١.

(٥) مروج الذهب ١٩٥/٧.

أوجِب العُدْرَ في تراخي اللقاء ما أتانا من هذه الأنواء
لستُ أدري ماذا أقولُ فأشكو من سماءٍ تعيقُنِي عن سماءٍ
غير أنني أدعو لهاتيك بالصَّح و^(١) وأدعو لهذه بالبقاء
فسلامُ الإله أهديه منِّي كلَّ يومٍ لسَيِّدِ الـوزراءِ

يحيى بن معين

ابن عون بن زياد بن بسطام. وقيل: معين بن غياث بن زياد بن عون^(٢) بن بسطام، أبو زكريا، الحافظ البغدادي، مولى الجنيد بن عبد الرحمن بن المُرِّي الغطفاني، وأصله من الأنبار، من قرية يقال لها: نَقِيًا، بينها وبين بغداد اثني عشر فرسخًا، وقيل: أصله من المري^(٣)، فمات أبوه، وخلف لابنه يحيى ألف درهم وخمس مئة ألف درهم^(٤)، فأنفق الكلَّ على أصحاب الحديث، حتى لم يبقَ له نعلٌ يلبسه.

وكان عالمًا متقنًا عارفًا بالجرح والتعديل، كتب ألف ألف حديث، وكانت كتبه مئة قمطر وعشرين حُبًّا.

وكان الإمامُ أحمد يعظُّمُ شأنه، وما سمَّاه قَطُّ باسمه، بل بكنيته^(٥)، ويقول: كلُّ حديثٍ لا يعرفه أبو زكريا، فليس بحديث.

(١) في العقد الفريد ٣/١٩٤، ٤/٢٢٧: بالكل.

(٢) في (خ) و(ف): عمرو. والتصويب من تاريخ بغداد ١٦/٢٦٣، والمنتظم ١١/٢٠٢، وتهذيب الكمال ٣١/٥٤٤، وسير أعلام النبلاء ١١/٧١ وغيرها.

(٣) كذا في (خ) و(ف). ولم أقف على هذا القول. لكن وقع في تاريخ بغداد ١٦/٢٦٥، والمنتظم ١١/٢٠٣: كان معين على خراج الرِّي، فمات فخلف لابنه....

(٤) كذا في (خ) و(ف)، وفي تاريخ بغداد ١٦/٢٦٥، والمنتظم ١١/٢٠٣ وغيرها: وخمسين ألف درهم.

(٥) في تاريخ بغداد ١٦/٢٦٧ من قول عباس الدوري: قلَّما سمعت أحمد بن حنبل يسمِّي يحيى بن معين باسمه، إنما كان يقول: قال أبو زكريا، قال أبو زكريا. وقيل نحوها في حق علي بن المديني، قال أبو حاتم الرازي: وكان أحمد لا يسميه إنما يكنه تبيلاً له، وما سمعت أحمد سماه قط. الجرح والتعديل ٦/١٩٤، وسيأتي في ترجمة علي بن المديني.

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد^(١): حجَّ ابنُ معين، فزار قبرَ النبي ﷺ، ثم خرج فبات بظاهر المدينة، فرأى النبي ﷺ في المنام وهو يقول: يا أبا زكريا، أرغبت عن جوارِي^(٢)؟ فقال لرفقائه: اذهبوا فإني راجعٌ إلى المدينة.

وقال محمد بن إسماعيل البخاري^(٣): كنتُ معه في تلك السفرة، فدخلَ المدينة فأقامَ بها ثلاثاً^(٤)، فمرض وماتَ ليلة الجمعة في ذي القعدة، فاجتمعَ الناس، فقال بنو هاشم: لا نغسله إلا على الأعواد التي غُسلَ عليها رسول الله ﷺ؛ لأنه نفى الكذب عنه، وأخرجوه إلى البقيع، ونادى منادٍ بين يديه: هذا الذي نفى الكذب عن رسول الله ﷺ، إلى أن وصلَ إلى قبره، وكان قد بلغ سبعاً وسبعين سنةً.

ورثاه بعضُ المحدثين فقال: [من الكامل]

ذهبَ العليمُ بعيبِ كلِّ محدِّثٍ وبكلِّ مختلفٍ من الإسنادِ
وبكلِّ وهَمٍ في الحديثِ ومشكلٍ يعني به علماء كلِّ بلادٍ^(٥)
وقال بعضُ المحدثين: رأى رجلٌ من أهل المدينة في منامه رسولَ الله ﷺ وأصحابه وهم مجتمعين في الروضة، فقال: ما بالكم؟ فقال النبي ﷺ: جئنا نحضرُ جنازةَ هذا الرجل الذي كان ينفي الكذبَ عني.

وقال حُبيش بن مبشر: رأيتُ يحيى بن معين تلكَ الليلة في النوم، وعلى رأسه تاجٌ، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: أدخلني عليه في داره، وزوجني ثلاثَ مئة حورية، ثم

(١) لم أقف على هذا الخبر عن عبد الله ابن الإمام أحمد، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٢٧٤/١٦ من قول حبيش بن مبشر، فقال الخطيب بعده: الصحيح أن يحيى توفي في ذهابه قبل أن يحج.

(٢) في (خ) و(ف): في. والمثبت من المصادر.

(٣) كذا في (خ) و(ف). وهو خطأ. والصواب - كما في تاريخ دمشق ٢٠٤/١٨، وتهذيب الكمال ٥٦٦/٣١، وسير أعلام النبلاء ٩٠/١١ - محمد بن يوسف البخاري والد أبي ذر.

(٤) في المصادر المذكورة أنه دخل المدينة ليلة الجمعة ومات من ليلته، لكن وقع في رواية حبيش بن مبشر - ستأتي - أنه أقام بها ثلاثاً ثم مات.

(٥) تاريخ بغداد ٢٧٥/١٦.

قال: انظروا إلى عدي، كيف تطرّى وحسُن^(١).

سافر ابنُ معين إلى الآفاق، ودخل: الأماص، وسمع خلقاً لا يحصون، منهم ابنُ عيينة، وابن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، وغيرهم. وروى عنه زهير بن حرب، والبخاري، ومسلم في آخرين.

واتَّفَقوا على صدقه وثقته، إلا [ما روى] إبراهيم بن هانئ [قال: رأيت أبا داود]^(٢) يقعُ في ابنِ معين، فقلتُ له: في مثلِ ابنِ معين؟! فقال: نعم، من جرَّ ذيلَ الناسِ جرُّوا ذيله. يعني أنه جرحَ الشيوخ.



(١) في (خ) و(ف): نظر فأحسن. والمثبت من تاريخ بغداد ٢٧٦/١٦.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. انظر تهذيب الكمال ٥٦٤/٣١.